16

الانثروبولوجيا الرقمية ومستقبل العالم

بحث في الانثروبولوجيا الثقافية

Digital Anthropology and the Future of the World

Research in Cultural Anthropology

كلمات مفاتيح: الانثروبولوجيا الرقمية، التكنولوجيا، الثقافة

Keywords: digital anthropology, technology, culture

أ.م.د عامر لطفي عبد الكريم شويخ

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة

Prof. Dr. Amer Lutfi Abdul Karim Shuwaikh

Ministry of Education/Open Educational College

i@gmail.com Amer Lutfi

الملخص

يُعرَّف "الرقمي" هنا بأنه تقنيات جديدة يُمكن اختزالها في نهاية المطاف إلى شيفرة ثنائية وقد سهّلت هذه التقنيات إعادة إنتاج ومشاركة العديد من التحف الثقافية وتسريعها، يُعنى القسم الأول من هذه المدخلة بالسكان والعوالم التي تُعزى في معظمها إلى التقنيات الرقمية، أما القسم الثاني، فيتناول الاستخدام العام للتقنيات الرقمية وعواقبها على مختلف السكان حول العالم وبدلًا من فصل تأثير التقنيات الرقمية، تُمثّل الإثنوغرافيا الشاملة إحدى أهم مساهمات الأنثروبولوجيا، مما يُثبت أنه لا يُمكننا فهم العوالم الرقمية الجديدة إلا في سياق العلاقات والممارسات الاجتماعية الأوسع وبدلًا من محاولة الحكم على التقنيات الرقمية على أنها إيجابية أو سلبية، يُمكن للأنثروبولوجيا أيضًا التركيز على تناقضاتها المتأصلة، ويبحث القسم الثالث في كيفية تأثير التقنيات الرقمية على المنهجية الأنثروبولوجية، أما القسم الأخير، فينصبّ الاهتمام على التأثير المُحتمل للأنثروبولوجيا الرقمية على مفهومنا للأنثروبولوجيا نفسها وما يعنيه أن تكون إنسانًا.

Apstract

“ Digital” is defined here as new technologies that can ultimately be reduced to binary code. These technologies have facilitated and accelerated the reproduction and sharing of many cultural artifacts. The first section of this entry concerns the populations and worlds that are largely attributable to digital technologies. The second section addresses the general use of digital technologies and their consequences for different populations around the world. Rather than isolating the impact of digital technologies and its consequences for different populations around the world. Rather than isolating the impact of digital technologies, comprehensive ethnography represents one of anthropology's most important contributions, demonstrating that we can only understand new digital worlds in the context of broader social relations and practices. Rather than trying to judge digital technologies as positive or negative, anthropology can also focus on their inherent contradictions The third section explores how digital technologies impact anthropological methodology, while the final section focuses on the potential impact of

digital anthropology on our understanding of anthropology itself and what it means to be human.

مقدمة

في أي يوم تقريبًا، تجد مقالات صحفية تُخبرنا بأننا فقدنا إنسانيتنا بسبب إدمان الهواتف الذكية أو صور السيلفي، أو لماذا يجب أن نقلق بشأن كيف سيحل الذكاء الاصطناعي محل عملنا، أو كيف تُحوّل الخوارزميات ذواتنا إلى مجرد بيانات أحيانًا، هناك رواية مُضادة مفادها أن التقنيات الجديدة قادرة على حل جميع المشاكل الصحية أو منع العواقب الوخيمة لتغير المناخ باختصار، وكما هو الحال مع الأنثروبولوجيا السياسية، تُعدّ الأنثروبولوجيا الرقمية ساحة تُستخدم فيها التطورات باستمرار لتقديم حجج معيارية وأخلاقية أوسع نطاقًا، بدلًا من مجرد رصد عواقب التغير التكنولوجي وتفسيرها.

بدأ علم الأنثروبولوجيا، كتخصص، بدراسة المجتمعات الصغيرة، التي تُعتبر تقليدية أو مألوفة، وغالبًا ما يُفترض خطأً أنها تتغير ببطء، إن تغيرت أصلًا على النقيض من ذلك، اعتبر معظم الناس ظهور التقنيات الرقمية نوعًا من تسارع العالم، طوفانًا لا يتوقف من الجديد لذا، فإن الأنثروبولوجيا المُكلفة بفهم العالم الرقمي وفهمه ربما تكون أيضًا بمثابة نفي نهائي لذلك الوهم الأولي بوجود مجتمعات خارج مسارات التغيير قد يمنحنا هذا التخصص تخصصًا أكثر توازنًا وشمولًا، يُعنى بنفس القدر بكامل نطاق التجربة الإنسانية.

في الوقت نفسه، بدلًا من أن تكون مجرد أداة في النقاشات حول ما إذا كانت للتقنيات الرقمية عواقب إيجابية أم سلبية، فقد احتفظت الأنثروبولوجيا بمنهجيتها الشاملة لذا، فهي المجال الأنسب لوضع التقنيات الجديدة في سياق ثقافي واجتماعي أوسع بكثير، وبالتالي إدراك التناقضات والتعقيدات الكامنة التي تنجم عن الدراسة الأوسع لاستخداماتها وعواقبها. ستوضح الإثنوغرافيا كيف تُنتج التقنيات الرقمية إمكانيات جديدة للنشاط السياسي، مما يُهيئ الظروف لتسليع الموسيقى وغيرها من الوسائط، وإلغاء تسليعها في آن واحد.

يمكن استخدام مصطلح "الأنثروبولوجيا الرقمية" للإشارة إلى عواقب صعود التقنيات الرقمية على فئات سكانية معينة، واستخدام هذه التقنيات في المنهجية الأنثروبولوجية، أو دراسة تقنيات

رقمية محددة إلا أن هذا الموضوع قد يثير أيضًا تساؤلات أوسع حول طبيعة الأنثروبولوجيا المعاصرة نفسها، سواءً ما يعنيه أن تكون إنسانًا الآن، وكيف ينبغي للأنثروبولوجيا، كتخصص، أن تدمج عوالم لم تكن مسبوقة أو ممكنة في الماضي، يبدأ هذا المقال بسؤال حول المقصود بـ "الرقمي"؟، ثم يُقسّم عواقب هذه التقنيات إلى ثلاثة أجزاء، يتكون الجزء الأول من دراسة التقنيات نفسها، من خلال الفئات المرتبطة بها تحديدًا، مثل المخترقين ثم ينتقل النقاش إلى تقييم أعم للتقنيات الرقمية المتزايدة الانتشار، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، على السكان العاديين من خلال العمل الميداني الإثنوغرافي التقليدي. يتناول القسم الثالث استخدامات التقنيات الرقمية في المنهجية الأنثروبولوجية، أما القسم الأخير، فيتناول الأسئلة الأوسع حول آثارها على طبيعة الأنثروبولوجيا والإنسانية.

اولاً: ما هو "الرقمي"؟

لا ينبغي أن تمر أي محاولة لتعريف "الرقمي" دون معارضة التعريف الذي سيُستخدم لأغراض هذه المقالة هو كل ما يمكن اختزاله في نتيجة الترميز الثنائي، هناك عدة بدائل. قد يركز بعضها أكثر على صعود الأنظمة السيبرانية، بينما يركز آخرون على عالم منفصل عبر الإنترنت يسمى "الافتراضي"، يكمن سبب اختيار تعريف قائم على الترميز الثنائي لهذه المدخلة جزئيًا في بساطته كما أن له فضيلة تسليط الضوء على بعض الآثار الرئيسية، هذه أولاً أن التقنيات الرقمية جعلت من السهل إنشاء منتجات متطابقة تمامًا وبالتالي يمكن إعادة إنتاجها بسهولة، ثانيًا، أن الأشكال الرقمية أسهل بكثير في المشاركة، هاتان الخاصيتان بدورهما تفسران ما يبدو أنه انتشار سريع ومستمر للتقنيات الجديدة والمنتجات اللاحقة، بعضها أصبح في كل مكان وتوسع ليصل إلى معظم سكان العالم في وقت قصير جدًا لذلك، في كل عام تقريبًا، ينصب تركيز الاهتمام الشعبي والأكاديمي على شيء مختلف – الإنترنت ومحركات البحث والافتراضي ووسائل التواصل الاجتماعي والبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي وما إلى ذلك[1] .

تطور أحد مناهج الأنثروبولوجيا الرقمية من دراسات الثقافة المادية، والتي ركزت على كيفية صنع الأشياء للناس بقدر تركيزها على كيفية صنع الناس للأشياء، نحن نفهم من نحن في مرآة العالم المادي الذي ولدنا فيه ونشأنا فيه، لكن هذا العالم لم يكن ثابتًا أبدًا، إحدى الطرق التي

أصبحت بها الثقافة أكثر تنوعًا واتساعًا كانت من خلال انفجار المنتجات المادية التي نربطها بثقافة المستهلك، وقد تم توسيع ذلك الآن من خلال المزيد من الديناميكية والتنوع الموجود في الأشكال الرقمية، لذلك من المهم أن نتذكر أنه على الرغم من أن العالم الرقمي قد يكون غالبًا عبر الإنترنت، إلا أنه ليس غير مادي. هناك جانب مادي لعالم "الميمات وأجهزة الكمبيوتر، والمنصات، والتصوير الفوتوغرافي الرقمي، أو الأموال الرقمية[2] .

لذا، فالعالم الرقمي ليس تجريدًا، بل هو خلقٌ لمجموعةٍ واسعةٍ من الأشكال والعمليات الملموسة علاوةً على ذلك، تُصادف هذه الأشكال والعمليات دائمًا في سياق استخدامها وعواقبها على فئةٍ معينة من السكان، مما يعني أنها تصبح عرضة للتمييز الثقافي، تكشف دراسات وسائل التواصل الاجتماعي، هو كيف أن الإنترنت الصيني، حيث تُركز خدمات المراسلة الفورية المجانية مثل QQ وWeChat على الصور الرمزية وتسلسلات المستخدمين الهرمية، والذي يختلف عن الإنترنت البرازيلي، بتركيزه على الميمات السياسية والعلاقات بين الجنسين، وفي منطقة أخرى، سيكون الاهتمام منصبًّا على كيفية توظيف الإنترنت في حشد الاحتجاجات النسوية، أو كيفية منعه من تحويل الأشخاص إلى بياناتٍ يمكن جمعها، سمح تطور البرمجة بأشكالٍ جديدةٍ من المشاركة ، ليس فقط للمنتجات، ولكن أيضًا من خلال ما يُسمى "المصدر المفتوح"؛ أي التطوير التعاوني للبرمجة نفسها. أصبح هذا، في بعض المناطق، نموذجًا لمُثُل سياسية جديدة ففي إيطاليا، أصبحت حركة النجوم الخمس الشعبوية ، التي تدعو إلى الديمقراطية المباشرة عبر الإنترنت، أكبر حزب سياسي في البلاد في انتخابات عام ٢٠١٨ وبدورها، تُفضي الأدوات الرقمية إلى أشكال جديدة من المراقبة والتحكم لم تكن مُتخيلة من قبل ومن منظور أنثروبولوجي، يبرز تنوع الإنترنت وتناقضاته[3].

لذا، يتعين على الأنثروبولوجيا الرقمية أن تتعامل مع كيفية نمو الثقافة نفسها من حيث الحجم والشكل، بما في ذلك الأحلام والكوابيس الجديدة حول هويتنا، ومن أو ما ينبغي اعتباره حديثًا أو تقليديًا، بالنسبة لعالم الأنثروبولوجيا، يُقارب العالم الرقمي دائمًا في سياقه إذ بدا أن القياسات الحيوية في الهند تُتيح وصولًا أفضل إلى مزايا الرعاية الاجتماعية، أو في الصين إلى أشكال جديدة من التحكم بالمواطنين، فذلك يعود إلى الخيارات السياسية المتعلقة بكيفية استخدامها

ما تُمثله القياسات الحيوية ككل هو ببساطة القدرات المتزايدة لبنوك البيانات الضخمة المستمدة من الناس والتي يمكن استغلالها بطرق متعددة.

ثانياً: بعض العوالم الجديدة

يُعد مصطلح "حديث" بدلًا من "جديد" مهمًا هنا، إذ لا يوجد فاصل واضح بين العوالم غير المسبوقة التي تطورت من خلال التقنيات الرقمية والتحول التدريجي لبقية أشكال الحياة التي تتأثر بهذه التقنيات نفسها في الواقع، كان أحد المسارات الرئيسية في تطور الأنثروبولوجيا الرقمية من خلال أنثروبولوجيا الإعلام التي تأسست سابقًا، وهذا مجال يمكننا جميعًا من خلاله بسهولة تتبع التحول التدريجي للإعلام إلى شكل رقمي إلى حد كبير، سيشاهد معظمنا الآن ما نسميه التلفزيون، ولكن قد نواجهه بشكل متزايد من خلال مجموعة متنوعة من الشاشات، بما في ذلك هواتفنا كما يمكننا أن نرى كيف تواجه الصحف تحديات من أشكال أخرى لنشر الأخبار، مما يجلب الغموض والهشاشة لأولئك الذين يسمون أنفسهم صحفيين، كل هذا أدى إلى تحول مماثل في أنثروبولوجيا الإعلام، ورغم عدم وجود تقسيم مطلق أو واضح، فما زال من المفيد إجراء مقارنة بين العوالم "الجديدة"، التي لم يكن من الممكن أن توجد إلى حد كبير لولا تطور التكنولوجيات الرقمية، وبين دراسة استخدام التكنولوجيات الرقمية وعواقبها من قبل الناس العاديين[4] .

لقد أدت التقنيات الرقمية إلى ظهور مجموعة واسعة من السكان الجدد، قد تبدو غريبة للوهلة الأولى، ومن أدوار عالم الأنثروبولوجيا التفاعل التعاطفي مع هذا المجتمع، لمساعدتنا على فهم ما يفعلونه وكيفية فهم العالم من منظورهم، أن التطورات الرقمية تُوسّع آفاق الاتجاهات والإمكانات التي كانت قائمة بالفعل؛ على سبيل المثال، من خلال تغيير البنية التحتية لأسواق العمل في هذه الحالة، يُعتقد أن التقنيات الجديدة تُوسّع مسارًا طويلًا تُقمع فيه قدرة الإنسان على التصرف من خلال التطور المتزايد للآلات والمصالح القوية، والتي تُفهم عمومًا على أنها رأسمالية نيو ليبرالية، وفي الآونة الأخيرة، شهدنا صعود ما يُسمى الآن باقتصاد "العمل الحر"، حيث طمس التقنيات الرقمية، مثل تطبيقات الهواتف الذكية، حدود ومسؤوليات الشركات تجاه العمال[5] .

تسببت التقنيات الرقمية في انهيار العديد من الشركات وطرق العمل التقليدية. ولعل أقوى مثال على كيفية قدرة عالم الأنثروبولوجيا على نقل الطريقة التي قد يصبح بها البشر، في الواقع،

امتدادًا للآلة الرقمية، التي حولت ماكينات القمار في لاس فيغاس من خلال تقنيات متطورة بشكل متزايد والتي يكون غرضها الوحيد هو إبقاء الناس مدمنين على المقامرة، يميل علماء الأنثروبولوجيا أكثر من نظرائهم في مجال الإعلام أو الدراسات السياسية إلى تقديم التطورات الرقمية على أنها متناقضة. على سبيل المثال، بدلاً من الاكتفاء برفض صعود وسائل التواصل الاجتماعي مقابل الأشكال التقليدية للتقارير الإخبارية، يميلون أكثر إلى البحث في أمثلة محددة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر المعلومات[6].

من الطرق الأخرى التي انخرط بها علماء الأنثروبولوجيا في هذه العوالم الحديثة التركيز على منصات رقمية محددة واستخداماتها. حول كيفية إنشاء الشباب لمواد لموقع يوتيوب. وهناك أيضًا العرض المرئي المؤثر، وقد تصبح وسائل الإعلام الأخرى نفسها أدوات للقبول السريع لافتراضات حول كيفية تعرضنا، على سبيل المثال، للأخبار الكاذبة أو العيش في غرف صدى سياسية حيث لا نسمع سوى آراء مماثلة لآرائنا. على النقيض من ذلك، يوفر العمل الإثنوغرافي فهمًا أكثر دقة لما يعتقده الناس بالفعل وأسبابه. ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن التخصصات الأخرى تعتمد في الغالب على التحليل القائم فقط على البيانات المتاحة للجمهور مثل تويتر، بينما يتمكن علماء الإثنوغرافيا من الوصول إلى مناقشات أكثر خصوصية، وغالبًا ما تكون أكثر أهمية وخصوصية، على سبيل المثال، واتساب.

تُمثل وسائل الاتصال ساحةً يُسلَّم فيها عمومًا بأن العالم الرقمي قد غيّر المشهد بالكامل تقريبًا. إلا أن علماء الأنثروبولوجيا أدركوا تحولاتٍ لا تقل أهميةً في العديد من المجالات الأخرى؛ على سبيل المثال، مجال المال . وكان التأثير هائلًا. ويمكننا التركيز على الطريقة التي انفجرت بها الرأسمالية المالية في مجالاتٍ أوسع نطاقًا وتجريدًا عقب التطورات التكنولوجية التي أحدثت "الانفجار الكبير" عام ١٩٨٦، والاستخدام المتزايد للتقنيات الرقمية الذي أدى إلى تقلباتٍ أكبر في أسواق رأس المال، مما ساهم في انهيار تلك الأسواق عام ٢٠٠٨. وفي أحد طرفي هذا الطيف، توجد التجريدات الجديدة للمال، ممثلةً بآليات رقمية بحتة، إن معظم البنية التحتية لعالمنا المعاصر حديثة نوعًا ما. هل تُتيح رؤية المصدر المفتوح نماذج جديدة للتنمية الحضرية، من الصعب تصور التصميم اليوم خارج نطاق الرقمنة في حين أن إحساسنا بالمكان قد تغير بفضل تقنيات تحديد المواقع الجديدة مثل نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) وجوجل إيرث والهواتف المحمولة[7] .

ثالثاً: الحياة الرقمية اليومية

تناول القسم السابق المجموعات التي توجد بالكامل نتيجة للتطورات الرقمية والتأثير الأوسع للرقمية على الأشكال والبنى التحتية التي نعيش فيها. وعلى النقيض من ذلك، هناك مسؤولية واضحة أخرى للأنثروبولوجيا الرقمية لمراقبة وتفسير عواقب كل هذه التطورات على الحياة اليومية للناس العاديين في جميع أنحاء العالم. وهذا يعيدنا إلى عنصر أساسي في الأنثروبولوجيا: الإثنوغرافيا الشاملة التقليدية ، حيث نحاول فهم كيفية ارتباط الناس بكل ما يؤثر على حياتهم. لا أحد يعيش عبر الإنترنت فقط، لذا لفهم مشاركتهم في التقنيات الرقمية، نواصل التركيز على السياق الأوسع لحياتهم غير الرقمية. ونظرًا لأن هذه إثنوغرافيا عامة للسكان، فسيكون التركيز أيضًا على أشكال الثقافة الرقمية التي أصبحت أكثر انتشارًا، مثل وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية[8] .

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي، في الواقع، المكان الذي يعيشون فيه الآن. فبدلاً من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لإعادة الاتصال بقراهم الريفية كما كان متوقعًا، فإنهم يستخدمونها كهجرة أكثر فعالية إلى عالم الحضرية الحديثة من الانتقال إلى المصنع نفسه. إلى جانب تناول الطعام والعمل والنوم، وتفاعلهم المحدود نسبيًا مع زملائهم، يقضون أوقات فراغهم على منصات التواصل الاجتماعي، مثل QQ وWeChat، مُنمّين بذلك شعورًا بأنهم جزء لا يتجزأ من العالم التقني الحديثة وثقافتها الاستهلاكية، وهو ما لم يحققه الانتقال إلى المصانع بحد ذاته. غالبًا ما تتمتع التطورات الرقمية بقدرات منصات أوسع نطاقًا واختراق أعمق في حياة مستخدميها مقارنةً بمنصات مثل فيسبوك وتويتر[9].

لعلّ المجال الذي حظي بأكبر قدر من الاهتمام هو الأنثروبولوجيا السياسية، إذ غالبًا ما تُعتبر التقنيات الرقمية في النقاشات العامة "سببًا" للتحولات السياسية المعاصرة. ولذلك، ثمة اهتمامٌ كبيرٌ حاليًا بأفكارٍ مثل ما إذا كان فيسبوك مسؤولًا عن الانتشار السريع لخطاب الكراهية، كما هو الحال في المشاعر المعادية، قد استخدمت هذه التقنيات لتغيير نتائج الانتخابات من خلال استهداف الناخبين بعنايةٍ وسرية. ومرة أخرى، يتمثل دور علماء الأنثروبولوجيا في دحض الادعاءات المُثارة حول هذه التأثيرات السياسية من خلال اعتباراتٍ سياقيةٍ وأطول أجلًا[10] .

رابعاً: كيف نمارس الأنثروبولوجيا رقميًا

لقد مرّت دراسة الأنثروبولوجيا الرقمية بعدة مراحل. ركّزت مراجعة سابقة على استكشاف المجتمعات الإلكترونية، بينما ركّزت مراجعة لاحقة بشكل أكبر على النهج الإثنوغرافي للوسائط الرقمية وتناولت مجموعة مُحرّرة أحدث تنوع مجالات الدراسة، بدءًا من الموقع والسياسة وصولًا إلى الحياة الأسرية، بالإضافة إلى آثارها على النظرية والأنثروبولوجيا بشكل عام. ومع ذلك، يصعب فصل هذا التسلسل عن التطورات في المنهجية، والتي نشأت أيضًا استجابةً للإمكانيات الجديدة التي أتاحتها التقنيات الرقمية. على سبيل المثال، غالبًا ما كانت الإثنوغرافيا تتكوّن من البحث ووصف مكان وزمان محددين، حيث كان الخروج من موقع العمل الميداني يعني نهاية علاقات عالم الأنثروبولوجيا مع مُخبريه. أما مع وسائل التواصل الاجتماعي، فيتوقع علماء الأنثروبولوجيا من يعملون بينهم الحفاظ على تلك العلاقات على الرغم من المسافة وبعد إتمام الدراسة الإثنوغرافية، مما يجعل تحديد معالمها أصعب، أصبحت العديد من مصادر المعلومات الجديدة متاحة الآن عبر الإنترنت، وقد يستبدل علماء الأنثروبولوجيا دفاترهم التقليدية بأدوات مثل التسجيل الصوتي ، والقص واللصق من المصادر الرقمية، أو الملفات المشتركة، مع هذه الآليات الجديدة لتسجيل المعلومات وتحليلها، يجب النظر في الإثنوغرافيا الرقمية جنبًا إلى جنب مع إثنوغرافيا العالم الرقمي، قد يكون من المفيد التفكير في هذه التغييرات كجزء من نقاشات منهجية أوسع نطاقًا[11] .

يمكن للتقنيات الرقمية أيضًا أن تُعزز مشاركة علماء الأنثروبولوجيا في نشر نتائج أبحاثهم. أنشأ مشروع " لماذا ننشر" مجموعةً من الأشكال القصيرة سهلة الوصول، مثل أفلام يوتيوب التي لا تتجاوز مدتها خمس دقائق، وأنشطة وسائل التواصل الاجتماعي، والتدوين، ودورة جامعية مجانية عبر الإنترنت من خلال إتاحة العمل الأنثروبولوجي مجانًا على الإنترنت بلغات مواقعنا الميدانية، يمكن حتى للأبحاث الإثنوغرافية التقليدية أن تحظى بشعبية كبيرة، حيث وصل هذا المشروع تحديدًا إلى نصف مليون عملية تنزيل بحلول عام 2018. تعني هذه التطورات في الوصول المجاني

إمكانية إرجاع الأبحاث الأنثروبولوجية بسهولة أكبر إلى المجتمعات منخفضة الدخل في كثير من الأحيان، والتي غالبًا ما تكون موضوعًا لكثير من أبحاثنا. وينطبق هذا أيضًا على المجلات الأنثروبولوجية الشهيرة على الإنترنت مثل مجلات الأنثروبولوجيا الثقافية[12].

خامساً: تغيير الإنسانية

يُمثل القسمان الأولان تباينًا. يتناول أحدهما عوالم جديدة نسبيًا نشأت من خلال العالم الرقمي، بينما يتناول الآخر العواقب الأكثر عمومية على الشعوب التي لا تتأثر حياتها بالتقنيات الرقمية بشكل خاص. ويعود هذا التمييز إلى حد ما إلى احتمالية اختلاف نتائجهما. على سبيل المثال، من أبرز الاهتمامات الناشئة حاليًا في الأنثروبولوجيا الرقمية التأثير المحتمل لجمع كميات هائلة من البيانات، واستخدامها في بناء الخوارزميات، وبشكل أعم، الاستثمارات الضخمة في الذكاء الاصطناعي، هناك أيضًا شعورٌ بالتجريد من الإنسانية، حيث يرى الناس أنفسهم أكثر كصورٍ للبيانات، بدلًا من مجرد أشخاص. علاوةً على ذلك، تُعزز هذه التقنيات الاختلافات القائمة بين الجنسين وغيرها من المعايير الاجتماعية غير المتكافئة. وكما في الأمثلة السابقة للعوالم المُنشأة رقميًا، ينصبّ التركيز الرئيسي على المجموعات التي بُنيت حول هذه الإمكانيات الجديدة، مثل الأشخاص الذين يتماهون مع حركة الذات الكمية وينخرطون في أشكال مختلفة من التتبع الذاتي. ويتمثل أحد التوجهات البديلة في الرفض النشط لهذه التقنيات، والذي قد يُنظر إليه الآن كشكل من أشكال المقاومة [13].

على النقيض من ذلك، تُعنى الدراسات التي نُوقشت تحت عنوان "الحياة الرقمية اليومية" بفئات سكانية لا تتبنى التقنيات الرقمية أو ترفضها بشكل خاص، بل تتقبلها بسرعة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية. يتفاعل معظم الناس مع أحدث التقنيات الرقمية كتطبيقات للهواتف الذكية. بالنسبة لهم، يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي والخوارزميات، على سبيل المثال، على أنها خدمات ترجمة فورية أكثر فعالية للغات الأجنبية، أو نظام ملاحة GPS أكثر فعالية، أو إملاء صوتي أكثر دقة . وبعيدًا عن كونها مُجردة من الإنسانية، فإنهم يرون هواتفهم متوافقة بشكل متزايد مع شخصياتهم الخاصة، ويميلون إلى الشعور بالحرمان إذا ما تركوا رفيقهم الرقمي في المنزل

سهوًا . إنهم أكثر قلقًا بشأن مراقبة عائلاتهم من مراقبة الشركات. وفيما يتعلق بالمسائل الصحية، فمن المرجح أن يرحبوا بمدى معرفة ما بداخل أجسادهم، والذي كان مجهولًا لهم إلى حد كبير سابقًا إلا عند ظهور المرض، كبيانات. قد ينتبهون إلى التطبيقات التي تحسب خطواتهم، أو تتنبأ بدوراتهم الشهرية، ويستخدمونها لتطوير أنماط حياة أكثر صحة أو تخطيطًا[14] .

يشير كل ما سبق إلى أن المشكلة الحقيقية تكمن في مصطلح "الإنسانية" بحد ذاته، هل يمكن أن يكون هذا المصطلح محافظًا للغاية، إذ يشير تقليديًا إلى كل ما كانت عليه البشرية حتى الآن، وليس إلى كل ما قد تصبح عليه مع مرور الوقت، ربما عُرفت الإنسانية سابقًا بأنها كائنات لم تستطع الطيران، ثم ظهرت الطائرة. بدلًا من استخدام مصطلحات مثل ما بعد الإنسان أو ما بعد الإنسان ، قد نرغب في تعريف الإنسانية بأنها تشمل الكمون الذي تحققه كل تقنية جديدة. والخلاصة هي أن الأنثروبولوجيا الرقمية، التي يمكن أن تشمل دراسة كل من الاستخدام والنتيجة، هي دراسة لما يصبح عليه الناس بقدر ما هي دراسة لما تصبح عليه التقنيات. نواجه الآن تناقضًا صارخًا بين اهتمام الأنثروبولوجيا الأولي بالعادات والتقاليد، مقارنةً بسرعة التطورات المعاصرة. في الوقت نفسه، قد تكون هذه الأمور معبرة بنفس القدر عن المخاوف الأنثروبولوجية المستمرة، مثل طبيعة المعيارية. علاوة على ذلك، تُعزز

سادساً: لماذا تساهم الأنثروبولوجيا الرقمية في تصور مستقبل المجتمع؟

في نوفمبر ٢٠١٧، مُنحت الباحثة صوفيا لقب "بطلة الابتكار" لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وهي أول إنسان غير بشري يُمنح لقبًا من الأمم المتحدة، تُعرف صوفيا بأنها أكثر الروبوتات شبه البشرية تطورًا في العالم، وقد شاركت مؤخرًا في استضافة فعالية رئيسية في معرض ومهرجان مؤسسة ويكيميديا الدولي للتكنولوجيا والابتكار الرقمي، صوفيا قادرة على إجراء حوارات وإجراء مقابلات، وقد صرّح أحد مراسليها بأن الذكاء الاصطناعي يُدخل التراث والثقافة إلى العالم الحديث ليرسم ملامح المستقبل، هل ساهمت التكنولوجيا في تسريع وتيرة المجتمع البشري؟ يسعى علم الأنثروبولوجيا إلى معالجة أسئلة جوهرية تتعلق بالعلاقات بين الإنسان والذكاء الاصطناعي، والمرتبطة بفهم ماهية "الإنسان" و"الاجتماعي"، وتطوير أنثروبولوجيا لما بعد الإنسان. تطرح الروبوتات الاجتماعية أسئلة جديدة ومحددة حول كيفية تحليل علماء الأنثروبولوجيا للمفاهيم المتغيرة

للتعريفات التقليدية. كما أنها تدعونا إلى إعادة النظر في هذا المجال بما يتجاوز التركيز على الإنسان[15].

أدرج البرلمان الأوروبي مسألة الميتافيرس على جدول أعماله. يُعد الميتافيرس أحد أكثر المفاهيم تداولاً في التكنولوجيا الحديثة، ويمكن وصفه بأنه عالم افتراضي ثلاثي الأبعاد غامر ومتواصل، يتفاعل فيه الناس عبر صور رمزية للمشاركة في مجموعة واسعة من الأنشطة. وبينما لا يزال نطاق الميتافيرس وتأثيره على المجتمع والاقتصاد غير واضحين، فمن الواضح أنه سيطرح فرصاً ومخاطر متعددة في مجالات سياسية متعددة. لذلك، من الضروري النظر في كيفية تحديد المسؤوليات، ومكافحة الممارسات غير القانونية والضارة، والتصدي للإعلانات المضللة، وحماية حقوق الملكية الفكرية. ويمكن لعلم الأنثروبولوجيا التطبيقية أن يُسهم في إيجاد إجابات آنية لهذه الأسئلة[16].

ان التنبؤ ليس مفهومًا جديدًا، إلا أن دمج التفكير الإثنوغرافي في هذه الممارسة قد شهد نموًا متزايدًا في السنوات الأخيرة تُضيف الأنثروبولوجيا الرقمية قيمةً كبيرةً لمجتمع المستقبل لعدة أسباب. ومع استمرار تزايد دور التكنولوجيا في حياتنا، يُصبح فهم الآثار الاجتماعية والثقافية لهذه التحولات الرقمية أمرًا بالغ الأهمية لصياغة مستقبل أكثر شمولًا وأخلاقيةً وإنصافًا.

وفيما يلي بعض الطرق التي تساهم بها الأنثروبولوجيا الرقمية في بناء مجتمع مستقبلي أفضل: تصميم التكنولوجيا المستنيرة: يقدم علماء الأنثروبولوجيا الرقمية رؤى قيمة حول تجارب المستخدم والممارسات الثقافية والديناميكيات الاجتماعية التي يمكن أن تفيد تصميم وتطوير التقنيات الرقمية.

- التطور التكنولوجي الأخلاقي: يُسلّط كتاب "الأنثروبولوجيا الرقمية" الضوء على الآثار الأخلاقية للتقنيات الرقمية. ويتناول قضايا مثل الخصوصية، والمراقبة، وحماية البيانات، والتحيزات الخوارزمية، مما يُتيح التقييم النقدي واتخاذ القرارات الأخلاقية في تطوير التكنولوجيا ونشرها.
- الحساسية الثقافية والتنوع: تُدرك الأنثروبولوجيا الرقمية التنوع الثقافي للمجتمعات البشرية وكيفية تداخل التقنيات الرقمية مع مختلف الممارسات والمعتقدات الثقافية. من خلال دراسة

كيفية تفاعل المجتمعات المختلفة مع المنصات الرقمية، يُمكن لعلماء الأنثروبولوجيا الرقمية تعزيز الحساسية الثقافية وتحدي هيمنة المنظورات الغربية في تصميم التكنولوجيا وتطبيقها.

- معالجة الفجوات الرقمية: تُسلّط الأنثروبولوجيا الرقمية الضوء على التوزيع غير المتكافئ للتقنيات الرقمية وما ينتج عنه من فجوات رقمية. ومن خلال دراسة هذه الفجوات، يُمكن لعلماء الأنثروبولوجيا الرقمية تحديد عوائق الوصول إلى هذه التقنيات واستخدامها، واستكشاف استراتيجيات لسد هذه الفجوات، والدعوة إلى سياسات تُعزز الشمول الرقمي.
- التأمل النقدي والرؤى المستقبلية: تشجع الأنثروبولوجيا الرقمية على التأمل النقدي في الآثار المجتمعية للتقنيات الرقمية. فهي تتحدى الافتراضات، وتدرس ديناميكيات القوة، وتكشف عن التحيزات أو أوجه عدم المساواة الخفية الكامنة في الأنظمة الرقمية.

من خلال تعزيز الفهم النقدي للعصر الرقمي، تساعد الأنثروبولوجيا الرقمية المجتمع على تصوّر مستقبل بديل واستكشاف إمكانيات أنظمة تكنولوجية أكثر استدامةً وعدالةً وتشاركية. ومن خلال مراعاة الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتحولات الرقمية، تُسهم الأنثروبولوجيا الرقمية في بناء مستقبل تكنولوجي أكثر شمولاً وإنصافاً وتركيزاً على الإنسان[17].

الخاتمة

يدرس علماء الأنثروبولوجيا الرقمية الفضاءات الرقمية باعتبارها موضوعات أنثروبولوجية يمكن من خلالها تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية–الثقافية التي تحدث وتتفاعل داخل الفضاءات الرقمية. وأظهرت دراساتهم أن المجموعات البشرية أثناء احتكاكها بالتكنولوجيات الرقمية تتبنى مجموعة من المعايير والممارسات والعادات، ويتداول أفرادها مجموعة من القصص والخطابات، ويطورون مجموعة من المفردات واللهجات الخاصة، كما تكون تلك الفضاءات مجالا لظهور الصراعات والهجرات منها وإليها بنفس الطريقة التي تحدث في المجتمعات الإنسانية التقليدية المحدودة جغرافيا وبشريا.

المصادر

1. د. مبروك بوطقطوقة، الانثروبولوجيا الرقمية، مجلة التقدم العلمي، العدد24، الكويت، 2024.

2. **Forsythe, D. E. 1999. It's Just a Matter of Common Sense: Ethnography as Invisible Work. Computer Supported Coop. Work, 8(1--2), 1p 27--145.**

3. دانييل ميلر, هيذر أهورست، الانثروبولوجيا الرقمية، ترجمة، د. خالد الاشهب، هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2020، ص87.

4. **Coleman, G. 2010. Ethnographic approaches to digital media. Annual Review of Anthropology** p.39, **1-19.**

5. مها محمد ، الهندسة الاجتماعية وشبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها في المجتمع العربي ، المؤتمر الثامن العشرون ، شبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها في مؤسسات المعلومات في الوطن العربي ، الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، القاهرة ، 2017،ص8.

6. أ. بشير بن صالح، الشباب والبيئة الرقمية من اجل انثروبولوجيا للفضاء الافتراضي، مجلة الموافق للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات جامعة معسكر، العدد الخامس، الجزائر، 2010، ص187.

7. د. رابح، الصادق، فضاءات رقمية: قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات، دار النهضة، بيروت، ط1, 2014, ص124.

8. . عبد الحي حسام فايز، مشاركة الجمهور في تقنيات الهندسة الانثروبولوجية عبر موقع فيس بوك وعلاقتها بالخصوصية والتعويض النفسي لديهم، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 55 ،جامعة الأزهر، مصر ، 2020.

9. **Boellstorff, T. (2008). Coming of Age in Second Life: An Anthropologist Explores the Virtually Human. Princeton: Princeton University,p.65.**

10. **Turkle, S. (1996) Parallel lives: Working on identity in virtual space. In *Constructing the self in a mediated world*(D. Grodin & T. R. Lindlof, Eds.), Sage, London, P. 157.**

11. **Suler, J., (1996), The Psychology of Cyberspace The Classic Text, Cambridge University Press, London, P.92.**

[1] . Forsythe, D. E. 1999. It's Just a Matter of Common Sense: Ethnography as Invisible Work. Computer Supported Coop. Work, 8(1--2), 1p 27--145.

[2]. دانييل ميلر, هيذر أهورست، الانثروبولوجيا الرقمية، ترجمة، د. خالد الاشهب، هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2020، ص87.

[3]. د. مبروك بوطقطوقة، الانثروبولوجيا الرقمية، مجلة التقدم العلمي، العدد24، الكويت، 2024، ص44.

[4] . Coleman, G. 2010. Ethnographic approaches to digital media. Annual Review of Anthropology **p.39**, 1-19.

[5]. مها محمد ، الهندسة الاجتماعية وشبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها في المجتمع العربي ، المؤتمر الثامن العشرون ، شبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها في مؤسسات المعلومات في الوطن العربي ، الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، القاهرة ، 2017،ص8.

[6]. أ. بشير بن صالح، الشباب والبيئة الرقمية من اجل انثروبولوجيا للفضاء الافتراضي، مجلة الموافق للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات جامعة معسكر، العدد الخامس، الجزائر، 2010، ص187.

[7]. د. رابح، الصادق، فضاءات رقمية: قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات، دار النهضة، بيروت، ط1, 2014, ص124.

[8]. عبد الحي حسام فايز، مشاركة الجمهور في تقنيات الهندسة الانثروبولوجية عبر موقع فيس بوك وعلاقتها بالخصوصية والتعويض النفسي لديهم، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 55 ،جامعة الأزهر، مصر ، 2020.

[9]. بارني, دارن, المجتمع الشبكي, ترجمة: أنور الجمعاوي, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, بيروت, ط1, 2015, ص162.

[10] . J., Blythe, M., Monk, A., and Grayson, D. 2006. Sharable digital TV: relating ethnography to design through un-useless product suggestions. Proc. CHI' 06, p1199--1204.

[11] . Boellstorff, T. (2008). Coming of Age in Second Life: An Anthropologist Explores the Virtually Human. Princeton: Princeton University,p.65.

[12] . Turkle, S. (1996) Parallel lives: Working on identity in virtual space. In *Constructing the self in a mediated world*(D. Grodin & T. R. Lindlof, Eds.), Sage, London, P. 157.

[13]. هورست, هيذر, ميلر, دانييل, الانثروبووجيا الرقمية, ترجمة: د. خالد الاشهب, هيئة البحرين للثقافة والنشر, المنامة, ط1, 2012, ص112.

[14] . Suler, J., (1996), The Psychology of Cyberspace The Classic Text, Cambridge University Press, London, P.92.

[15] .أ. بشير بن صالح، الشباب والبيئة الرقمية من اجل انثروبولوجيا للفضاء الافتراضي، مصدر سابق، ص32.

[16] .هورست, هيذر, ميلر, دانييل, الانثروبووجيا الرقمية، مصدر سابق، ص77.

[17] . Ito, Joichi, (2002), Identity and Privacy in a Globalized Community, Ars Electronica, Linz, Australia, Vol.1, P.246.